

عودة الكهانية إلى الكنيست بدعم ورعاية نتنياهو!

كتب نهاد أبو غوش:



صعود بن غفير؛ شرعنة العنف «غير الرسمي».

(الغيب)

تكوما برئاسة بتسليل سموتريتش، ومن المرجح أن ين غفير حظي في مختلف مراحل إبرام هذا الائتلاف بدعم بنيامين نتنياهو وأعوانه.

هدف بن غفير من هذا الائتلاف واضح، وهو نفس هدف بنيامين نتنياهو إذ يقول رئيس حركة «عوتسما يهوديت» تعقيباً على الاتفاق كما تنقل عنه صحيفة «يسرائيل هيووم» في عددها ليووم ٢٠١٢/٣/٣١: «لمنع قيام حكومة يسارية يجب إنشء اتحادات على اليمين، والتواصل مع صديقنا العزيز (معوز) الذي يعمل بجد لضمان الهوية اليهودية، قوتنا هي وحدتنا».

المستوطنات قاعدة التطرف

حصل حزب «الصهيونية الدينية» على ما نسبته ٥,١% من مجموع الأصوات، ما مكّنه من الحصول على ستة مقاعد، ويمكن تتبع مواقع قوة ونفوذ الحزب الجديد، حسبما تظهر خريطة انتخابية نشرها موقع صحيفة «يديعوت أحرונوت»، على الإنترنت ynet فور ظهور النتائج النهائية يوم ٢٠١٢/٣/٢٦، وما يتضح هو أن القوة الرئيسية لحزب «الصهيونية الدينية» تتركز في المستوطنات، وخاصة في مستوطنات جنوب الضفة في منطقتي بيت لحم والخليل وكذلك في بعض المستوطنات المحيطة بالقدس، وتلك الواقعة بين محافظتي سلفيت ولقيلية الفلسطينية وتتمركزها مستوطنة أرييل.

ففي مستوطنة بيت إيل في رام الله حصلت قائمة الصهيونية الدينية على نسبة ٧٥% من الأصوات، وفي كل من مستوطنتي كدوميم وأفني حيفتس في شمال الضفة حصلت على نسبة ٥٦% من الأصوات، وفي كريات أربع قرب الخليل حصلت على ٥٤%، وفي كرتني شورمون على ٣٧%، في حين لا يساكد يظهر أي حضور لمنتخبي هذا الحزب في المدن الكبرى وخاصة في تل أبيب وحيفا وبئر السبع، ولكن يظهر تأييد طفيف له في بعض بلدات الجنوب وخاصة في ما يسمى بـ«الغلاف المحيط بقطاع غزة».

من الواضح أن هذه القائمة كانت منافساً شديداً للحزب «يميننا» اليميني الاستيطاني المتطرف، وحرفت جزءاً كبيراً من قاعدته الانتخابية، ولعل ذلك يعود في جانب منه إلى أن رئيس «يميننا» نفتالي بينيت، وحين تهيأ له في بداية السباق الانتخابي أنه يمكنه منافسة نتنياهو على رئاسة الحكومة، حاول الخروج من صورة الحزب القطاعي ذي الصبغة الدينية الذي يمثل المستوطنين دون غيرهم، إلى الحزب الوطني اليميني الذي يمثل الإسرائيليين أينما كانوا، فكان أن خسّر جزءاً من المستوطنين من دون أن يربح أصوات الإسرائيليين العاديين، ما مهد الطريق لحزب «الصهيونية الدينية» كحزب متطرف من دون أي التباس، وكحليف يعتمد عليه نتنياهو في الوقت نفسه.

الحكومة الإسرائيلية الأسبق إسحق رابين، وسيرة حياة هذا السياسي الصاعد حافلة بالأحداث المثيرة والمواجهات مع الشرطة ومع أجهزة الدولة وحتى مع وسائل الإعلام. عرف بن غفير بأرائه المتطرفة منذ قوته وشبابه المبكر، حيث انضم لحركة «كاخ» في سن السادسة عشرة، وقد أعفي من الخدمة في الجيش بسبب آرائه المتطرفة، ودخل في سجلات ومشاكسات عديدة، ووجهت له العديد من لوائح الاتهام بجرائم الشغب والتحرّيش على العنصرية ودعم منظمة إرهابية، كما منعت نقابة المحامين من الانضمام لها بسبب ماضيه الإجرامي، لكنه استأنف ضد القرار وفاز في دعوته وانضم للنقابة عام ٢٠١٢.

سبق لبن غفير أن خاض معركة قضائية مثيرة ودعوى تشهير مع الصحافي أمنون دانكنز الذي وصف الشباب المتطرف، خلال حلقة لبرنامج «بوبوليتيكا»، العام ١٩٩٥، بأنه نازي صغير تعقبياً على مشاركة بن غفير في المظاهرات المنددة بإسحق رابين التي شبهته كضابط نازي وعبأت الأجواء لاغتياله. دانكنز كسب القضية في البداية، لكن بن غفير واصل الاستئناف حتى كسب القضية وحصل على تعويض رمزي.

يبدو أن حرص بن غفير على دخول عالم السياسة دفعه للتخفيف من غلوائه وتطرفه المعلن على الأقل، فقد تخلص من صورة الطبيب القاتل باروخ غولدشتاين التي كان يعلقها في غرفة جلوسه، وبات يبيدي مزيداً من الاعتدال في مقابلاته فأعلن أنه لا يكره جميع العرب، لكنه ظل يدافع عن قاتل رابين بزعم أن الحكومة أفرجت عن إرهابيين قتلة (يقصد الفلسطينيين) ومن باب أولى أن يتم الإفراج عن يغثال عمير.

لا لإهدار أصوات اليمين

واظب الكهاني الجديد على خوض الانتخابات للكنيست خلال الجولات الأربع الماضية، وكان يحصل دائماً على نسبة تتراوح بين ١% إلى ٢%، وهي نسبة لا تؤهل قائمته لاجتياز نسبة الحسم والحصول على مقعد في الكنيست، لكنها نسبة لا يستهان بها حين يتحدث الصراع على كل صوت وعلى كل مقعد كما هي حال رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو الذي كان يصارع في كل مكان لانتزاع مقعدين إضافيين أكثر مما تعطيه الاستطلاعات. المؤثر للاهتمام أن القاعدة الانتخابية التي تصوت لبن غفير وقائمته الكهانية، ظلت معه وملتزمة به، ولم يفرط عددها مع أول فشل كما يحصل عادة مع الأحزاب والشخصيات التي تجرب حظها، ما يدل على أن حزب «عوتسما يهوديت» يملك قاعدة ثابتة ومستقرة، وذلك ما مكّن المحامي المتطرف من الدخول بقوة في ائتلاف مع حركة «نوعم» وهي ذات صبغة دينية ورئيسها أفي معوز أولاً، ثم مع الاتحاد الوطني -

لكنه في الحقيقة مختلف، ولعله لا يأخذ من الدين إلا ما يعزز اتجاهاته العنصرية والاستعلائية والإيمان بالتمييز الجوهري لليهود عن بقية البشر، وذلك هو الأمر عينه الذي فعلته الصهيونية التقليدية، أي صهيونية هرتسل ومن تبعه من مختلف الاتجاهات، مع الدين. والذي يعلب على أداء هذه الجماعات القريبة من «كاخ» وفكرها، هو سلوكها اليومي الذي يجسد أكثر أشكال العمل السياسي تطرفاً وعنصرية، من خلال الدعوة إلى تهجير العرب والفلسطينيين وطردهم من «أرض إسرائيل»، كما يتقاطع الأداء السياسي لهذه الجماعات ويتداخل مع سلوك الجماعات الخارجة عن القانون، وعصابات الإجرام على شاكلة جماعات «شبيبة التلال»، وجماعات «تدفيح الثمن» (تاغ محير).

ويمكن القول إن الكهانية في إسرائيل هي تيار، وليست مجرد حركة منظمة لها هيئاتها وسجل أعضائها، ولكونها كذلك فإن أفكارها منتشرة لدى فئات أوسع بكثير ممن يحسبون عليها كأعضاء أو ناشطين، ويمكن بكل سهولة أن نعثر على «الثقافة» والسلوك الكهاني لدى كثير من منسوبي أحزاب الليكود و«إسرائيل بيتنا» و«يميننا» وأهل جديد» وغيرها من الأحزاب، كما لدى مجموعات صغيرة منتشرة في أماكن كثيرة وليست مترابطة بالضرورة، كالمجموعات التي تشن هجمات منظمة ودائمة على القرى الفلسطينية فتخرب المزرعات وتسمم المواشي وترتكب جرائم قتل فظيعة مثل جريمة إهراق عائلة دوابشة، وجريمة خطف وقتل الطفل محمد أبو خضير. وفي الدعابة السياسية والبرامج نعثر على أفكار كهانا من قبيل الدعوة إلى تهجير مواطني قرى المثلث المنتشرة لدى كثير من الأحزاب والسياسيين، التي وجدت لها صدى ليس في دعاية ووثائق حزب «إسرائيل بيتنا» فقط، بل حتى في وثيقة «صفحة القرن»، التي طرحها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب.

متخصص في الدفاع عن القتل

تمثل السيرة الذاتية لإيتمار بن غفير سيرة عادية لشباب نشأ في أجواء التطرف، وتشبع بأفكارها، ووجد بيئة متكاملة ومواتية لنمو أفكاره من فتى عنيف إلى سياسي يتبنى العنف كمنهج. بن غفير هو محام شاب نسبي (٤٤ عاماً)، متزوج من أيلالا ولهما ستة أولاد، ولد لأبوين قادمين من كردستان العراق، ونشأ في «مفاسيرت تسيون» غربي القدس، ويقيم الآن في «غفعات هابوت» الواقعة ضمن مستوطنة كريات أربع في الخليل. اشتهر بن غفير بدفاعه عن المتهمين بارتكاب جرائم وأعمال عنف ضد الفلسطينيين مثل المتهم الرئيسي بحرق عائلة دوابشة، كما دعا مراراً للإفراج عن يغثال عمير، قاتل رئيس

بملاحقتهم الفتيات اليهوديات، وينتزعون لقمة العيش من أبناء الشعب اليهودي بمنافستهم على أماكن العمل، بأجورهم الرخيصة».

وكان كهانا داعية صريحاً للعنف ضد العرب والفلسطينيين، وهو القائل «إذا كانت الدولة غير قادرة، أو غير راغبة في الرد بالمثل على من يريق الدم اليهودي فمن واجب الأفراد فعل ذلك بأنفسهم».

ويقتبس خليفة جملة قالها كهانا حسب مقال نشره أفي كيتسمان في «هآرتس» مستهجنًا ووقوف الكنيست دقيقة حداد في إثر مقتل كهانا عام ١٩٩٠، وجاء فيها: «أنا أقول لكم ما يشعر به كل واحد في قرارة نفسه، اجعلوني وزيراً للدفاع ولن يبقى منهم مرصوم واحد هنا!»

«كهانا حتى!»

انقسمت حركة «كاخ» بعد مقتل زعيمها ومؤسسها منير كهانا إلى قسمين، الأول هو الذي احتفظ باسمه الأصلي وكان مركزه في مستوطنة كريات أربع، وبرز من بين أعضائه كل من باروخ مارزل ونوعم فريدمان والقاتل باروخ غولدشتاين، والقسم الثاني كان بقيادة بنيامين كهانا نجل مؤسس الحركة، وكان مركز هذا القسم في مستوطنة تبواح جنوبي نابلس. ولا تزال شخصية كهانا تمثل أيقونة تجذب شبيبة المستوطنات والتيارات ذات التوجهات العنصرية والعنفية المتطرفة، ويمكن العثور، وخاصة في أوقات الأزمات والتوترات، على شعارات مطبوعة على الجدران في مختلف المدن الإسرائيلية تقول «كهانا حي» أو «كهانا كان صادقاً» مع صورة تخطيطية لمؤسس هذه الحركة.

ليس بالضرورة أن تكون كل الأعمال الإرهابية اليهودية ولا معظمها نفذت على أيدي جماعة «كاخ» أو جماعات مرتبطة بها تنظيمياً، فقد ساهمت «كاخ» كغيرها من جماعات «الصهيونية الدينية» في إشاعة مناخات الاستعلاء اليهودي وكراهية العرب والدعوة إلى طردهم، وظهرت في هذا السياق جماعات قريبة ومتكاملة مع «كاخ»، وبعضها كانت ذات أهداف ملموسة ومحددة مثل «غوش إيمونيم» التي كانت حركة عننية واسعة هدفها تشجيع الاستيطان، وحركات أكثر تخصصاً مثل جماعة «أمناء جبل الهيكل» التي حصرت أهدافها في هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل الثالث مكانه، كما ظهرت جماعات سرية متخصصة في أعمال العنف كجماعة «إرهاب ضد الإرهاب» (تي. إن. تي) المسؤولة عن تفجير سيارات ومحاولة اغتيال عدد من رؤساء البلديات الفلسطينيين في الضفة.

تيار أم حزب؟

يصنف بعض المتابعين للشأن الإسرائيلي حزب «الصهيونية الدينية» كجزء من الأحزاب الدينية القومية،

صدر حديثاً

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»

قضايا إسرائيلية (٨٠)

محور العدد:

إسرائيل في أفريقيا: سيرة تطور العلاقات





هاوية ساعر، من «القمة» إلى اختبار البقاء.

(الغيب)

جدعون ساعر: جولة ثالثة أمام نتنياهو!

من عدد قليل من المقاعد، وعلى ضوء وجوده في معسكر غير متجانس أيديولوجيا، وبعد عن تربيته اليمينية وقاعدته المحتملة إذا ما رغب في مواصلة شق طريقه نحو القمة، وهي كلها عوامل تعطي نتنياهو المزيد من الأوراق للضغط عليه وتحجيم طموحه.

العودة إلى البيت

نشر المحلل السياسي ورجل الأعمال يعقوب بارودغو بعد إعلان نتائج الانتخابات مقال رأي في صحيفة «يسرائيل هيوم»، المعروفة بكونها المنبر غير الرسمي لنتنياهو، دعا فيه جدعون ساعر إلى «العودة إلى البيت» الحزبي الذي نشأ فيه، وأن لا يساهم في الذهاب إلى انتخابات خامسة وتعبر هذه الدعوة عن نقطة ضعف جدعون ساعر، والذي عبر بشكل غريزي وعفوي عنها عندما غرد عبر حسابه الخاص على «تويتر»، فور ظهور النتائج بأنه «يؤيد حكومة مع الليكود بدون نتنياهو وما دون ذلك فإنه مستعد لأن يذهب إلى المعارضة»، فهو يحن ويدرك أن الليكود هو بيته الأيديولوجي والحزبي الطبيعي (الذي خذله عندما نافس نتنياهو من داخله ومن خارجه)، ولكن هذا البيت مأهول ويقوده شخص لا ينوي أن يتركه، بل لا يكف عن استخدامه في صراعه معه ومع خصومه الأيديولوجيين من أجل البقاء.

تتوقف كل فرص ساعر المستقبلية على كيفية إدارته لهذه المعركة والقرارات التي سيتخذها، وقدرته على الخروج منها دون أن يتمكن نتنياهو من اغتيال صورته وسحقه سياسيا، سواء من خلال إعادته إلى حظيرة الليكود، أو احتوائه داخل الحكومة، أو في حال قرر البقاء في المعارضة تجنب تحميله مسؤولية الذهاب إلى انتخابات خامسة، فهو الآن أمام مفترق طرق حاسم عليه أن يختار فيه: إما أن يتحول إلى الأمل الواقعي الوحيد القادر على هزيمة نتنياهو من داخل اليمين، وأن يعيد تكرار تجربة أريئيل شارون الذي واجه مصيرا شبيها، فأسس حزب كاديما، وهذا يتطلب حكمة سياسية وقدرة على المناورة واتخاذ قرارات صعبة، أو أن يجھض ويتم احتواؤه وتقزيم حركته إلى أدنى حجم ممكن، لينوب حزبه ويتلاشى في الانتخابات القادمة إذا ما قرر الانضمام إلى نتنياهو من موقع الحزب الصغير الهامشي الذي لم ينجح في كسب قلوب المصوتين اليميين وأصواتهم.

الأحمال الأيديولوجية الثقيلة سواء من خلفيته وتربيته أو من خلفائه الذي شقوا معه هذه التجربة (الليكين وهاوزز وهندل)، وحجم المقاعد المتواضع، لا بل والمخيب للأمل الذي حصل عليه حزب «أمل جديد» وضغط الانتخابات الخامسة، ووفق هذا دهاء نتنياهو والأدوات الألا محدودة التي يمتلكها، كلها عوامل تجعل ساعر في موقف لا يحسد عليه، وهي تهدد بانتهاه معركته مع نتنياهو بهزيمة لن تقوم له بعدها قائمة، إلا إذا أثبت قدرة على الصمود والعمل بنفس طويل والرهان على الميل المتنامي في الشارع الإسرائيلي نحو اليمين، والسأم من ثقل العيب الذي بات يشكله نتنياهو على المنظومة السياسية في إسرائيل وعدم الخشية من الذهاب إلى انتخابات خامسة، حتى الآن أثبت جدعون ساعر انسجاما مع نفسه، واستقامة سياسية، بالمعنى اليميني، وقدرة على اتخاذ قرارات صائبة، مع حفاظه على خطه الأيديولوجي وإخلاصه لهذا الخط، وإذا كانت هذه الصفات قد خدمته في السابق في تكريس صورته على أنه زعيم مستقبلي واعد (رغم فشله أمام نتنياهو) إلا أن المعركة الحالية قد تتطلب منه مرونة أيديولوجية ودهاء وقدرة على المناورة، وهي أدوات ستكشف الأيام إن كان قادرا على استخدامها وإتقان نفسه، وإتقان ما يسمى «الأمل الجديد» الذي بشر به!

ليعود إلى الحياة السياسية في العام ٢٠١٧ ويحتل الموقع الرابع في قائمة الليكود.

حول تزايد ملفات الفساد ضد نتنياهو الأناظر باتجاه ساعر الذي بات ينظر إليه على أنه الوريث المحتمل لزعيم حزب الليكود في مرحلة ما بعد نتنياهو، وهو ما خلق حالة من الريبة وعدم الثقة بينه وبين نتنياهو الذي لم تضعفه الملاحقة القانونية وتهم الفساد، ولا كانت كافية لجعله يبحث عن مخرج آمن، بل زادت من تمسكه بالسلطة، وفتح النار على كل من يقف في وجهه من الداخل والخارج، وتضاعف شعوره بالريبة، وهو ما يمكن الاستدلال عليه بالتهمة التي وجهها لساعر في العام ٢٠١٨، بأنه يعد هو ورئيس الدولة رؤوفين ريفلين مؤامرة للإطاحة به من رئاسة الحكومة، بعد الفوز في الانتخابات القادمة، وأن ريفلين سيلقي على قيادي آخر في الليكود هو ساعر مهمة تشكيل الحكومة.

نشرت القناة ١٢ يوم الجمعة ٢٠١٧/٣/٢٦ خبرا حصريا حول تفاصيل عرض تقدم به نتنياهو لساعر عبر وسطاء، بأن ينضم إلى نتنياهو ويمكنه من تشكيل حكومة مقابل تعهد مسبق بأن يتخلى عن الحكم بعد سنة واحدة. القناة قالت إن ساعر رد على العرض بشكل ساخر وقاطعه بالرفض، حيث تمثلت أمام عينيه تجربة بيني غانتس وحزب «أرزق أبيض»، وفي الخلفية الصراع المرير الذي خاضه مع نتنياهو، ومعرفته له بأن هذا الأخير لا يحترم عهوده ولا يمكن الوثوق بكلمته. رفض ساعر لا يعني أن ضغط أحزاب اليمين والليكود عليه سيتراجع، بل على العكس تماما، ذلك أن هذا العرض وتعهد تسريبه، هو بداية عملية سحق صورة ساعر من قبل نتنياهو وهو عمليا يدخله في الامتحان الثالث في مواجهة هذا الأخير.

لقد جرب جدعون ساعر أن يحارب نتنياهو من داخل الليكود وفشل في ذلك، ومن ثم جرب منافسته من الخارج عبر حزبه الجديد، إلا أنه فشل أيضا في جذب أصوات اليمين والليكود إليه، والآن يجد ساعر نفسه ومستقبله السياسي مرهونا بمعركة أخرى، وبامتحان جديد يتمثل في قدرته على رفض عرض نتنياهو والتصدي لضغوط اليمين، دون أن يتهم أنه هو من تسبب في انتخابات خامسة، أو توأطا في تمكين حكومة يقودها يائير لبيد أو بيني غانتس من استبدال حكم اليمين.

يتضح أن خيارات ساعر ضيقة جدا على ضوء ما حصل عليه ليعدو إلى الحياة السياسية في العام ٢٠١٧ ويحتل الموقع الرابع في قائمة الليكود.

وأن قوته ستأتي على حساب الليكود بالدرجة الأولى، بعد أن ظهر أن الأخير فقد في الاستطلاعات التي أعقبت تشكيل ساعر لحزبه الجديد ما يقارب عشرة مقاعد (٢٦ مقعدا). لكن اتضح أنه كلما اقترب موعد الانتخابات، وأصبح الناخب أقرب إلى صندوق الاقتراع، فإن «الأمل الجديد» لا يبدو كونه محاولة بإسائة وغير ناضجة، ولا تشكل بديلا مقنعا لجمهور اليمين ومصوتي الليكود التقليديين، وأن نتنياهو لا يزال الأقدر على جذبهم إليه، لتبقى القاعدة التي أثبتتها جولات الانتخابات الأربع على حالها، وهي أن اليمين قادر على المحافظة على قوته، وأن شخص نتنياهو هو الأقدر على ترؤسه، وأنه من خلال القوة الانتخابية التي يمتلكها قادر ليس على هزيمة ساعر فقط، بل ووضعه في معادلة تفاوضية معقدة تميل لصالح نتنياهو وتفقد ساعر هامش المناورة، وتجعل أي خيار غير نتنياهو وكأنه إسقاط لحكم اليمين وانحياز لخيار الوسط ويسار الوسط.

يعد جدعون ساعر سياسيا شابا نسبيا، فهو من مواليد العام ١٩٦٦، يمتلك قدرا من كاريزما جعلته يحافظ على ترتيبه المتقدم على قائمة الليكود للانتخابات في أكثر من جولة، كما أنه يعد من اليمينيين المتشددين، حيث عارض خطة الانسحاب من قطاع غزة في عهد أريئيل شارون واستقال مرتين بسببها، واتخذ مواقف على يمين نتنياهو خاصة في خطابه الشهير في بار إيلان، والذي ألح فيه على إمكانية الموافقة على قيام دولة فلسطينية.

انتماء ساعر لمعسكر اليمين بدأ من سن الخامسة عشرة عندما انضم إلى حركة «هتحياء اليمينية المتطرفة والتي تأسست في نهاية السبعينات من القرن الماضي احتجاجا على دخول مناحيم بيغن في عملية سلام مع مصر، وإخلاء سيناء من المستوطنات، وموافقة على مبدأ الحكم الذاتي للفلسطينيين في إطار اتفاق كامب ديفيد.

خدم ساعر في الجيش في وحدة قتالية، هي وحدة جولاني، وأصيب في أثناء التدريب، وما بعد الخدمة العسكرية عمل في الصحافة والمحاماة.

انتخب للكنيست عن حزب الليكود في العام ٢٠٠٣ وشغل مواقع وزارية في وزارات مهمة مثل وزارة التعليم ووزارة الداخلية التي استقال منها ومن الكنيست في العام ٢٠١٤

كتب عصمت منصور:

لم تفشل جولة الانتخابات الإسرائيلية التي تكررت للمرة الرابعة خلال نحو عامين، في إحداث التغيير المطلوب، وكسر الدائرة المفرغة وأزمة الحكم التي تعيشها المنظومة السياسية في إسرائيل، وتمنعها من تشكيل حكومة مستقرة فقط، بل إنها قضت أيضا على ما سمي بـ«الأمل الجديد» الذي خرج من صفوف الليكود، وبشّر بإنهاء عهد نتنياهو.

حصل جدعون ساعر السياسي اليميني الذي انشق عن الليكود، وأسس حزبا أطلق عليه اسم «أمل جديد»، من أجل تحقيق هدف واحد، بات يشكل قاسما مشتركا لمعسكر عابر للأيديولوجيات وبديلا عن البرامج السياسية، ألا وهو إسقاط نتنياهو، في هذه الجولة على ستة مقاعد فقط، وهو ما جعله خيبة الأمل الأكثر مرارة لكل من طمح بإخراج نتنياهو من مكتب رئاسة الوزراء.

خيارات ساعر

يعد جدعون ساعر سياسيا شابا نسبيا، فهو من مواليد العام ١٩٦٦، يمتلك قدرا من كاريزما جعلته يحافظ على ترتيبه المتقدم على قائمة الليكود للانتخابات في أكثر من جولة، كما أنه يعد من اليمينيين المتشددين، حيث عارض خطة الانسحاب من قطاع غزة في عهد أريئيل شارون واستقال مرتين بسببها، واتخذ مواقف على يمين نتنياهو خاصة في خطابه الشهير في بار إيلان، والذي ألح فيه على إمكانية الموافقة على قيام دولة فلسطينية.

انتماء ساعر لمعسكر اليمين بدأ من سن الخامسة عشرة عندما انضم إلى حركة «هتحياء اليمينية المتطرفة والتي تأسست في نهاية السبعينات من القرن الماضي احتجاجا على دخول مناحيم بيغن في عملية سلام مع مصر، وإخلاء سيناء من المستوطنات، وموافقة على مبدأ الحكم الذاتي للفلسطينيين في إطار اتفاق كامب ديفيد.

خدم ساعر في الجيش في وحدة قتالية، هي وحدة جولاني، وأصيب في أثناء التدريب، وما بعد الخدمة العسكرية عمل في الصحافة والمحاماة.

انتخب للكنيست عن حزب الليكود في العام ٢٠٠٣ وشغل مواقع وزارية في وزارات مهمة مثل وزارة التعليم ووزارة الداخلية التي استقال منها ومن الكنيست في العام ٢٠١٤

اليمين فقط يستطيع!

يمكن النظر إلى الجولات الانتخابية الأربع التي عاشتها إسرائيل خلال العامين الماضيين، على أنها محطات اختيار أو معمل فحص ضخم ومتعدد الأبعاد للتوجهات العامة في إسرائيل، التي يتكرر فيها رغم التغيرات الطفيفة على حجم الأحزاب وتمثيلها، بما يكشف ثبات تمثيل معسكر اليمين، لا بل واتساعه رغم انقسامه على نفسه حول شخص نتنياهو.

جعلت هذه الخلاصة التي باتت أقرب إلى كونها بديهية، جدعون ساعر بخلفيته اليمينية ومواقفه الصقرية، يشكل الأمل الوحيد (تقريبا) القادر على إحداث تغيير في نتائج الانتخابات، من خلال سحب مصوتين من اليمين خارج حزب الليكود، من دون تهديد حكم اليمين وفقدانه الحكم الذي يحتكره نتنياهو منذ اثني عشر عاماً.

عكست مواقف جدعون ساعر وحملته الانتخابية الرموز التي التحقت به من داخل الليكود مثل زئيف إلكين، ومن خارجه مثل تسفي هاووزز ويوعز هندل، تطلعا حازما ومفهما للأمل لإمكانية التغلب على نتنياهو أخيرا، خاصة على ضوء استطلاعات الرأي العام التي تنبأت له في الأيام الأولى لخروجه من الليكود بأن يكون الحزب رقم ٢ في الكنيست،

الآن في الأسواق

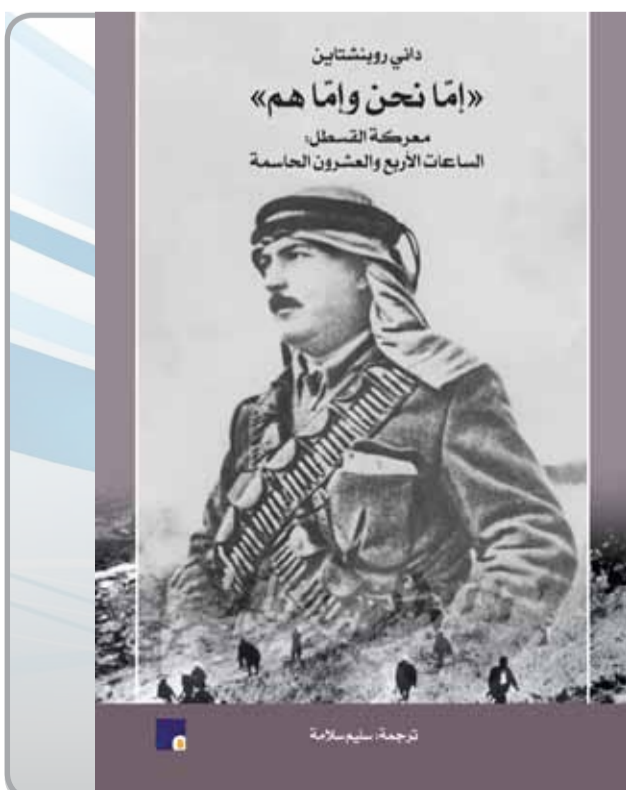
المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»

«إمّا نحن وإمّا هم»

معركة القسطل:

الساعات الأربع والعشرون الحاسمة

ترجمة: سليم سلامة



البحاثة في علوم الغلاف الجوّي وتغيّرات المناخ سميّة فلاح

حيثما تتدنّس الموت تحت وطأة التلوّثات الصناعية



حيفا: استنشاق الموت.

كتب محمد قعدان:

تحولت مدينة حيفا منذ ثلاثينيات القرن الماضي - في فترة الانتداب البريطاني - إلى مركز صناعي وصارت صاحبة الميناء الأضخم في فلسطين. تخلّل ذلك تطوير شبكة الطرق والقطارات في المنطقة ومصانع أخرى في مجالات النفط، الأمر الذي ساهم بشكل مباشر في ازدياد انبعاثات العديد من الملوثات في الهواء. نستعرض في هذا الحوار مع الباحثة سميّة فلاح الإشكاليات المتعلقة بتلوّث منطقة خليج حيفا ومآلاتها، والمتراكمة منذ بدايات القرن الماضي، وسنحاول أن نعطي تمهيدا لفهم تلوّث الهواء في منطقة حيفا خاصة وفلسطين عموماً، وما هي العوامل المختلفة التي تؤثر على تركيزات ملوثات الهواء في خليج حيفا؛ مع العلم أن مستويات تلوّث الهواء المقاسة في منطقة خليج حيفا اليوم منخفضة نسبياً مقارنة بالتركيزات التي تم قياسها في مناطق أخرى من البلاد، وكانت كذلك على الأقل خلال العقد الماضي، خصوصاً مع صدور العديد من التقارير الصحافية والأبحاث التي تشدد على تلوّث خليج حيفا بمستويات عالية. سنحاول من خلال الحوار استيعاب التحولات الجارية وأثرها على صحة السكان في حيفا، وأيضاً إلقاء الضوء على مسؤولية المستوى السياسي والمهني فيما يتعلق بالحد من الظاهرة أو عدم الاكتراث. سميّة فلاح حاصلة على ماجستير في مجال هندسة المياه، وتناقش حالياً رسالة الدكتوراه في علوم الغلاف الجوّي وتغيّرات المناخ، في معهد التخنيون في حيفا، بالإضافة إلى عملها البحثي في مجال تلوّث الهواء في إثر الصناعة.

(*) بدايةً هل من الممكن أن تعطينا لمحات سريعة حول التلوّث البيئي وعلاقته بالصناعة وازدياد انبعاثات الغازات الملوّثة وأهمها ثاني أكسيد الكربون في الهواء؟

فلاح: التلوّث البيئي يتخلل عده مجالات من التلوّث: تلوّث المياه الجوفية وتلوّث التربة وتلوّث الهواء وهذا تحديداً ما أسلّط عليه الضوء في أبحاثي. في سياق حيفا سنركّز على تلوّث الهواء، ونقصد به التغيّرات على التركيبة الطبيعية للهواء (٧٨٪ من النيتروجين، و٢١٪ من الأكسجين، وتقريباً ١٪ غازات أخرى) وتعتبرها تلوّثاً للهواء، وما نرصده هو التغيّرات في إثر الصناعات العديدة.

على سبيل المثال، حينما يتنفّس الإنسان مركباً غريباً في الهواء، أي يقوم بإدخال ملوثات إلى الجسم، وبحسب أنواع التلوّثات تنتج أمراض، وتوجد مركبات عضوية تتبخّر في الهواء (Evaporate)، وما نعرفه اليوم إزاء بعضها على أنها تتسبب بسرطان، وأيضاً مركب «ديوكسين» (Dioxin) يحفّز أمراض سرطان، كذلك وجدنا معادن في الهواء («كوبلت» و«فضة») قد يسبّب تحزّجها إلى الهواء وتنفسها أمراضاً مزمنة. جميع هذه المركبات هي أساساً صادرة عن مصانع وإعادة تدوير الحديد خصوصاً، أو عمليات احتراق معينة، وعموماً هذا هو ما نسميه تلوّث الهواء.

(*) كيف نستطيع فهم ارتباط تلوّث الهواء بالتغيّر المناخي من جهة، وبحياة الإنسان وصحته من جهة أخرى؟

فلاح: أولاً المعيار الأول لفهم علاقة ذلك بالتغيّر المناخي، هو التوازن البيئي في علاقته بالشمس والكرة الأرضية. بالتالي، انبعاثات غازات معينة إلى الهواء تؤثر على توازن الشمس والكرة الأرضية؛ أي أنها تؤثر على المناخ. على سبيل المثال، غاز ثاني

منطقة الشرق الأوسط تمتلك نسبة عالية من لكنها طبيعية على عكس الصين والولايات المتحدة اللتين أيضاً تمتلكان نسبة عالية من تلوّث الهواء، التي ننسب مصدرها إلى الصناعات العديدة، وتسبب بدورها وفيات عالية.

(*) إذن، ما هي المسببات الأساسية التي حفّزت التلوّث في حيفا؟

فلاح: دائماً علينا أن ننظر إلى المناطق الصناعية، من حيث أهميتها وتأثيرها على تلوّث الهواء، وتوجد خمس مناطق صناعية تسبب أعلى نسب تلوّث للهواء، تحت السيطرة الإسرائيلية: (١) مصانع البحر الميت، (٢) المنطقة الصناعية «روشيم روتيم» (في النقب، ٣) المنطقة الصناعية في أسدود، (٤) المنطقة الصناعية في بئر السبع «ناووت خوفاف»، (٥) المنطقة الصناعية في خليج حيفا.

نعتبر خليج حيفا الأكثر تلوّثاً لمدينة حيفا والمحيط والأكثر تلوّثاً من ناحية المواد العضوية التي تنبعث إلى الهواء، بسبب معامل تكرير النفط الموجودة هناك منذ الانتداب البريطاني، و فقط أودّ لفت الانتباه إلى أهمية معامل التكرير النفط في حيفا، في علاقتها بالمشروع الاستعماري الاستيطاني، حيث أنه اعتبر بداية تطبيق الوعد البريطاني من خلال وضع حجر الأساس لـ«سولة اليهود الحديثة»، وذلك يعود إلى المنظور البريطاني والعالم في ذلك الحين إلى النفط على أنه البناء التحتي لجميع مجالات الحياة الحديثة وأساس الدولة المادي (بالطبع نرى أن المنظور ما زال مستمراً). وبقيت معامل تكرير النفط تحت السيادة البريطانية حتى سنوات التسعينيات، بسبب الملكية البريطانية عند إنشاء المعامل، التي حددت بريطانيا بأنها ستبقى تابعة لها حتى ١٠٠ عام كحد أقصى. وعندما أصبحت تحت ملكية الدولة الإسرائيلية، وفي إثر السياسات النيوليبرالية في تلك الفترة، قام أشخاص من القطاع الخاص بشراء المعامل، واليوم هي تحت ملكية «الإخوة عوفر».

لنعد إلى حال خليج حيفا اليوم، فهو يعتبر من أحد المراكز الأساسية لانبعاثات غازات تلوّث الهواء، بسبب تواجد مفاعل «البتروكيماوي»، بالإضافة إلى ميناء حيفا، وأماكن تخزين مواد كيميائية تنبعث منها مواد عضوية ملوثة للهواء في إثر تخزينها، وهي تتواجد بشكل دائم في ميناء حيفا، وأيضاً من ناحية المواصلات وازدياد السيارات والمركبات الخاصة. وما يجعل الأمور أكثر صعوبة على مدينة حيفا؛ وجودها الطبوغرافي على الجبل، الذي يمنع حركة الهواء ويعيقها، لذلك تبقى معدلات تركيز الملوثات في الهواء عالية جداً في حيفا، والتي يمكن القول إنها تنفّس الموت نتيجة لذلك.

من المهم الإشارة، إلى أن انبعاثات غازات التلوّث كما نراها في تقارير المصانع هي خاطئة وليست

دقيقة، وذلك لتجنّب المصانع تسليم الوزارة معلومات دقيقة حول الانبعاثات خوفاً من العواقب. يُشار إلى أن قانون «سجل إطلاق ونقل الملوثات» (Pollutant Release and Transfer Register) هو عبارة عن قاعدة بيانات أو جرد للملوثات التي تطلق في الهواء والماء والتربة بواسطة المصانع / أو المنقولة خارج الموقع للمعالجة أو التخلص. أوأنشئ نظام سجلات إطلاق ونقل الملوثات في إسرائيل بموجب قانون حماية البيئة للعام ٢٠١٢؛ كان هذا أحد الالتزامات التي أخذتها على عاتقها خلال عملية انضمامها إلى «منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية» (OECD) في العام ٢٠١٣. ويلزم القانون المصانع بتقديم معلومات حول الملوثات والغازات التي تنبعث إلى الهواء، وبالتالي، المصانع تصرّح وفقاً لحسابات ومعايير ومعادلات مختلفة، حسب أنواع الغازات ومصدر التلوّث مما يعيق الحصول على دقّة في المعلومات حول مدى التلوّث الحقيقي في حيفا، مما يجعلنا نعتقد أن التلوّث أسوأ بكثير مما نراه في التقارير.

نجد لدى رصد تلوّث الهواء في حيفا، من خلال محطة تقيس انبعاثات الغازات الملوّثة للهواء منها مستقلة وأخرى تمتلكها المصانع، أن ثلاثاً منها بجانب معامل تكرير النفط في حيفا، وأكدت المحطات بأن مادة عضوية تطاير في الهواء- «غاز بنزين»- تتسبب بمرض سرطان، ونجدها بتركيز عالٍ في خليج حيفا، في منطقة معامل تكرير النفط ومنطقة المصانع البتروكيماوية.

(*) ما هي العمليات بالضبط التي ينتج عنها التلوّث في منطقة خليج حيفا وتحديداً أقصد معامل تكرير النفط؟

فلاح: بدايةً يصل النفط كمادة خام إلى ميناء حيفا، ثم تجري عملية نقله من خلال الأنابيب، في هذه العمليات، فإن عملية التخزين والنقل بذاتها تبعث غازات تلوّث الهواء. ومن جهة أخرى، فإن عملية الصناعة؛ أي تكرير النفط، باعتبارها فصلاً بين مركبات النفط مثل المازوت والسولار والبنزين والكيروسين (يستخدم وقود للطائرات)، تؤدي إلى انبعاثات ناتجة عن هذه العملية، هي غازات ملوثة. بالتالي الغازات الملوّثة هي خطرة، مواد عضوية متناثرة، والتي تتسبب بالسرطان.

(*) هل من الممكن توضيح لماذا حدث ذلك في هذا الحجم تحديداً في خليج حيفا؟

فلاح: بسبب تضافر عدة عوامل: تركيز المنشآت الصناعية الكبيرة التي تنبعث منها ملوثات في الهواء - يوجد ٢٥ مصنعاً في المنطقة تعذ الانبعاثات منها الأكثر خطراً و ١٠٠ محطة أخرى مع احتمال تلوّث الهواء أقل. حمولات النقل إلى الميناء التي تتميز بتركيز عالٍ لشاحنات تعمل بالديزل تخدم الميناء

والمصانع والمتنقلين عبر الخليج شمال وجنوب البلاد، وأيضاً البنية التحتية الوطنية لاستيراد وتصدير وتخزين المواد الخطرة بشكل عام والنفط الخام ومقطرات الوقود كما تحدّثنا سابقاً.

وما يجعل ذلك خطيراً بشكل غير مسبوق؛ القرب المادي المباشر من التجمعات السكانية، والطوبوغرافيا والمناخ الذي يجعل من الصعب تشتت الملوثات بل على العكس يحفّز تركيزها في منطقة حيفا. ونجد دلائل على هذه المخاطر في معطيات نشرتها وزارة الصحة في العام ٢٠٠٧، حول معدلات مرض السرطان غير الطبيعية في منطقة حيفا.

(*) إذن، في ظل جميع ما تحدّثنا عنه حول الملوثات التي تواجهها حيفا، هل تعمل الدولة للحد من التلوّث، من ناحية القوانين والسياسات أم أنها لا تكثر؟

فلاح: صدر في العام ٢٠٠٨ قانون «الهواء النظيف» وبموجبه المصانع ملزمة بأن تحافظ على معايير معينة متعلقة بانبعاثات الغازات، ومن المهم الانتباه إلى أن الإلزام هو نظري فقط. وأقصد أنها فعلياً لا تحافظ. كيف ذلك؟ الأمر متعلق بأدوات القياس. مثلاً، الجسم التابع لوزارة يقيس الانبعاثات من خلال دخان الناتج- «المدخنة»، وفقاً لمعايير دولية، حددها الاتحاد الأوروبي، وقزرت الوزارة في العام الواحد أن يصلها تقريران حول الانبعاثات، مرة كل ستة أشهر، عبر الدخان والغبار الناتجة عن «المدخنة»، والمصانع على علم بمواعيد القياس، بالتالي، في هذا الوقت تحديداً، المصنع يخفّض من الانبعاثات مما يؤدي إلى خلق أرقام غير دقيقة. لذلك على المستوى السنوي بجممله تكون النسبة أعلى بدرجات نتيجة عدم مصداقية الشركات والمصانع. في المقابل، توجد أجهزة قياس تستطيع أن تقيس الهواء والدخان الناتج عن «المدخنة» بشكل يومي مما يجعل الأرقام دقيقة أكثر.

(*) لماذا لا تستخدم الوزارة أدوات القياس اليومية بشكل دائم لتمنع انحرافات وعدم دقّة في الأرقام؟

فلاح: أولاً بسبب ارتفاع أسعارها وتكلفتها الباهظة، مع التشديد على أنها تستخدم من أجل أنواع ملوثات معينة، وفقاً لمعايير كمية تركيز التلوّث، ونوع الملوّث وخطورته. حيث أن البنزين، الجهاز غير معدّ لقياسه. بالمقابل فإن ثاني أكسيد الكبريت (S٠٢)، من الممكن قياسه. بالتالي، لا نعلم عن تركيز تلوّث البنزين في الهواء، وكما ذكرنا أعلاه فإنه يعتبر المسبب الأول لمرض السرطان. ناهيك عن أنه توجد مصادر أخرى غير «المدخنة» تنبعث منها الغازات، وهي غير مراقبة ولا نستطيع رصدها وتقديم تقارير حولها، وخصوصاً مادة البنزين التي تنبعث من مصادر غير معروفة لنا بشكل كبير، مقارنة مع المصادر التي نستطيع رصدها.

المشهد الإسرائيلي يصدر بالتعاون مع
وزارة الخارجية النرويجية



THE REPRESENTATIVE OFFICE OF NORWAY
TO THE PALESTINIAN AUTHORITY

محتوى المشهد الاسرائيلي لا يعكس بالضرورة
موقف وزارة الخارجية النرويجية

تابعونا على الفيسبوك

facebook
http://tiny.cc/ywgg4

وقناتنا على اليوتيوب

You Tube
http://tiny.cc/nkdp

رام الله - الماصيون - عمارة ابن خلدون - ص.ب. 1959

هاتف: 2966201 - 2 - 00970

فاكس: 2966205 - 2 - 00970

البريد الإلكتروني لـ «مدارة»:

madar@madarcenter.org

موقع «مدارة» الإلكتروني:

http://www.madarcenter.org

مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
MADAR The Palestinian Forum for Israeli Studies



«مدارة»: مركز متخصص بمتابعة الشأن الإسرائيلي، تأسس عام ٢٠٠٠. يحاول المركز من خلال إصداراته المختلفة أن يقدم بعيون عربية قراءة موضوعية وشاملة لمختلف تفاصيل وجوانب المشهد الإسرائيلي